كمال ناصر ... شاعر في ورشة الثورة

الدكتور كلوفيس مقصود

يبدو أن العدو سبقنا بتقييم أهمية كمال ناصر في حياته حتى أخذنا الآن ندرك حقيقة عظمته بعد استشهاده . فالعدو أدرك أن كمال ناصر كان انسانا بمنتهى الخطورة . لقد أدرك انه وان لم يكن في الجهاز القتالي المباشر للثورة الفلسطينية الا انه كان عاملا رئيسيا في جعل القتال محببا للجماهير، وهذا عنى ان بقاءه سيكون من العوامل المساعدة على ديمومة الجماهير في استعدادها ورغبتها أن تمد الثورة بالمزيد من المقاتلين . كما ان كمال ناصر كان خطرا لأنه في طليعة من ساهموا في تأمين احتضان شعبي واسع ومكثف لفكر المقاومة وممارساتها ، وبالتالي ساهم بشكل رئيسي في دحر المحاولات المتكررة التي لجأ اليها العدو وحلفاؤه بغية عزل المقاومة عن قطاعات الشعب الفلسطيني .

كان كمال ناصر محاورا وملتزما . كان الحوار بالنسبة له تأكيدا للالتزام وقدرة في جعل ما يلتزمه جزءا من قناعات العالم . كان يؤمن بالحوار من أجل اقناع الغير بعدالة وصوابية قضيته بالاضافة الى اعتباره أسلوبا جدليا يثري الالتزام ويطوره . فالالتزام العاجز عن التحاور يصاب حتما بالجمود ويتقوقع في حالة من الترهل والتزمت .

ادرك العدو ايضا أن دور كمال ناصر في كونه شاعرا في ورشة الثورة ، من شأنه أن يرسخ في وجدان الجماهير ديمومة الثورة وحتميتها . وحيث أن الملتزم الذي يعمل في ورشة الثورة يمارس ويفعل وهو عارف مدى ما باستطاعته انجازه مرحليا ، والشاعر في الثورة — أو حتى شاعر الثورة — يسجل أحلام الثورة والثوار فتكون أبياته تعبيرا عن معاناة أو اعلانا عن تأملات مستقبلية ، لكن الشاعر في ورشة الثورة مثلما كان كمال ناصر فهو الذي عنده الاستعداد والرغبة أن يضع يديه ورجليه وأظافر عقله وأسنان ضميره في **ورشة** الثورة . هكذا يدخل الحلم بالموجود فلا يعود الموجود قانعا وكافيا وينتقل المستحيل الى حيز الممكن . فيلتقي في الورشة الثائر بالشاعر في كل انسان فلا يعود الملتزم يكتفي بالممكن ولا أحد يعود يعترف بالمستحيل . كمال ناصر كان نموذجا طليعيا للملتزمين المجددين في الثورة الفلسطينية المعاصرة . من أجل هذا قتلوه لانهم اعتقدوا أنهم اذا اغتالوا النموذج تمكنوا من وقف انتشار العدوى .

كان كمال ناصر واقعيا داخل الثورة وكان بنفس الوقت ثائرا على الواقع . كان يستمد